

Ben Gourion Parle,
(Ed. Stock, Paris, 1971)

ان احداثا مختلفة في طفولتي قد وجهتني الى هذا السبيل . كنت في الثالثة من العمر عندما بدأ جدي يعلمني العربية [١٠٠] . عندما كنت استمع الى جدي يقص علي بعض الحكايات اليهودية التقليدية ، كنت أقول لنفسي : « بلونسك ليست وطني الحقيقي . اننا نعيش هنا وسط الاجانب . علي أن انزح الى ارض اسرائيل » . في نفس تلك الحقبة من حياتي قدم هرتزل الى مدينتنا الصغيرة [١٠٠] . لقد استقبله أهل بلونسك كأنه المخلص . كانوا يصيحون : « لقد جاء المخلص » . لقد كان لذلك تأثير عميق علينا نحن الاطفال [١٠٠] . منذ رأيتك كنت على أهبة لترك كل شيء والسير وراءه الى ارض جدودي [١٠٠] . في تلك الفترة كان المناخ العام السائد في كل مناطق شمال - شرق الدانوب يحث يهود جبلي على الوصول بالامور الى نهايتها المنطقية : الهجرة الى ارض اسرائيل وبناء وطن يهودي فيها ، بينما كان أهلنا يقتصرون على الحديث من ذلك ويحلمون وينظرون تحقيقا سحريا للنبوءات القديمة دون تحريك ساكن . بهذا المعنى كسان هرتزل « مخلصا » حقا ، إذ كان يكبرنا ، نحن الشباب ، باقتناعنا بأن بناء « ارض اسرائيل » كان شيئا ممكن التحقيق . على انه كان يضيف أن الشرط الاول لذلك هو أن نذهب هناك ونعمل بأيدينا . (ص ٤٢ - ٤٣) .

لا يخفي بن جوريون انه شخصيا لم يتعرض الى أي اضطهاد بصفته يهوديا . فصحونيته ليست نتيجة مباشرة للاسامية بل هي حصيلة ثقافته الدينية من جهة وحصيلة التيار الصهيوني الذي كان ينادي بتجريد النصوص الدينية من طبيعتها الصوفية وتحقيق مضمونها الاساسي ، في نظره ، : العودة الى « ارض اسرائيل » ، من جهة اخرى . فبن جوريون يعرف اليهود ليس بالانطلاق من واقعهم كبشر ، كمواطنين في بلد معين بل من خلال كتبهم الدينية . ومن ثم رفض كسل اندماج وكل تأزر وتضامن مع الشعوب المضطهدة، هي الاخرى ، التي يعيش بينها اليهود . « ان الكتاب المقدس هو انتدابنا » . هذه كلمة بن جوريون الاولى والاخيرة والتي ظلت جواد نزاله من بدء حياته السياسية الى تقاعده وشيخوخته

هذا الكتاب يضم مجموعة من التصريحات. أدلى بها بن جوريون الى جماعة من السينمائيين ذهبوا الى سدي بوكر في النقب لالتقاط صور فلم خاص « لتاريخ حياة وعصر بن جوريون » .

يتحدث بن جوريون عن تاريخ حياته المقترن بتاريخ اسرائيل ، من طفولته ببلونسك في بولندا الى تقاعده وانزوائه بسدي بوكر في النقب ويدلي بآراء عديدة تعكس تصويره لليهود وتشير الى مصادر ثقافته وطريقة تفكيره وتقييمه لدولة اسرائيل حاضرا ومستقبلا وتعطي فكرة عن مفهومه للسلم في المنطقة ونظرته للاجئين الفلسطينيين .

لن نتوقف هنا عند تفاصيل حياة بن جوريون (١) وستقتصر على تبيين الخطوط المميزة لتفكيره وسياسته من خلال اقواله محاولين نقده والاشارة الى بعض اكاذيبه للسافرة .

تشكل سياسة بن جوريون وطريقته في التفكير نموذجا يساعد على فهم الحركة الصهيونية ككل . لكن لم يكن بن جوريون منظرا مثل هرتزل فهو واحد من الذين بلوروا الفكرة الصهيونية وكرسوا حياتهم لتجسيدها . ان مفتاح شخصية بن جوريون هي طفولته . عندما ولد بن جوريون كانت فكرة الهجرة الى فلسطين والاستيطان فيها قد تبلورت ووجدت لها انصارا كثيرين في انحاء عديدة من اوربا الشرقية . كان أفجدور جرين والدم بن جوريون احد قادة حركة «احباء صهيون» في بلونسك . وكان بن جوريون الطفل يجلس ويستمع الى الحوار الذي يدور بين اتباع الحركة الذين كانوا يجتمعون في منزل والده . ليس غريبا اذن ان نسمع بن جوريون الشيخ يقول : « لا أكاد أذكر حقبة لم تكن فيها فكرة بناء ما كنا نسميه « ارض اسرائيل » ، العامل المسيطر في حياتي . لا ابالغ اذا قلت اني في الثالثة من العمر كنت أحلم بالرحيل الى فلسطين ومنذ بلغت العاشرة كنت لا اتصور ان اتضي حياتي في مكان آخر .

(١) راجع كتاب **دافيد جوريون** ، تأليف تهاني هلوسة ، نشر مركز الابحاث ، بيروت ، نوفمبر ١٩٦٨ . فيه عرض واف لحياة بن جوريون ومواقفه السياسية طيلة ما يزيد عن نصف قرن .